المحاضرة رقم (08)

مباحث الأدب المقارن: رحلة الآداب

تمهيد:

نقصد هنا برحلة الآداب هو انتقالها من لغتها التي كتبت بها إلى لغة أخرى، ومن بلدها الذي كتبت فيه إلى بلد آخر، وإحداث تأثير فيها، وذلك نشدانا للعالمية، هذه الأخيرة التي تعدّ ظاهرة عامة بين الآداب، والتي تدفع بالأدب القومي إلى الخروج من حدود قوميته، إما للتأثير في الآداب الأخرى، وإمّا نشدانا لما به يغنى ويكمل ويساير ركب الأدب العالمي، أو استجابة لضرورة التعاون الفكري والفني بعضها مع بعض، والتي من نتائجها حدوث تغيير شامل في عالم الفكر والأدب، ولخروج الآداب من حدود قوميتها وانتقالها أسسها العامة التي تحدد سيرها [1].

وعلى هذا يتناول الباحثون في الأدب المقارن هذا الفرع فيتابعون انتقاله من أدب إلى آخر، محاولين معرفة الطريق التي سلكتها هذه الآداب في رحلة انتقالها، والعوامل المسؤولة عن ذلك الانتقال، والأثر الذي أحدثته أثناء تلك الرحلة. وفي كيفية استقبال هذا الأدب في بيئة الأدب المستقبل، ولمعرفة ذلك لابدّ من النظر إلى وسائل عبورها من اللغة التي أثرت إلى اللغة التي تأثرت.

I – عوامل انتقال الأدب من لغة إلى لغة:

نتحدث في هذه السطور عن عوامل انتقال الأدب من لغة إلى لغة أخرى، أو ما يمكن أن يسمى وفقاً لمصطلحات الأدب المقارن (المبادلات/العلاقات الأدبية بين الأمم المختلفة[*])

لانتقال الأدب وعبوره وهجرته من لغة إلى لغة أخرى ومن بلد إلى بلد آخر، عدّة عوامل ووسائل نجملها فيما يلي:

---

[1] – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص104، 105 .

[*] – تحت عنوان "المبادلات الأدبية الدولية" نستطيع إدراج الرسائل الناقلة للأفكار والأنواع الأدبية والموضوعات والصور والمؤلفات الكاملة أو المجزأة بين الأمم من جهة، والأشياء المتبادلة عينها بين الأمم من جهة أخرى. وتعدّ هذه المبادلات "تجارة" سواء أتعلق الأمر بنفائس أم بسلع عادية. إنّها عملية توزيع ما بين المنتج (صاحب الإبداع الأدبي الأصيل) والمستهلك (الجمهور المتلقي إيجابا وسلبا، وهو موضوع علم الاجتماع الأدبي). ومنذ عهد "بول فان تيغم" عرف سماسرة هذه المبادلات باسم "الوسطاء"، وعرف الكاتب أو البلد المنتج باسم "المرسل"، أما الكاتب أو البلد المستهلك فعرف باسم "المتلقي" (المرسل إليه) (ينظر: بيير برونيل: ما الأدب المقارن؟، ص51).

.

أولا – العوامل الخاصة:

1– الكتب:

تعتبر الكتب أو المؤلفات "الوعاء الحقيقي للنشاط الفكري والحضاري للبشرية، وهو الوسيلة المثلى لنقل المعارف بين الأجيال والأمم لتكوين ما يمكن أن نسميه الحضارة العالمية"[1]. فالكتب من العوامل المهمة للتعرف على العلاقات والصلات بين بلد وآخر، فـ"للكتب تأثير كبير في إثبات الصلات الأدبية بين مختلف اللغات؛ فهي التي تلقى ضوءا قويا أو ضعيفا على علاقات بلد ما، بمؤلف أو بمجتمع أو بإنتاج أدبي في بلد آخر"[2].

وعلى هذا سيظل الكتاب دائماً يحتل المرتبة الأولى بين وسائط المعلومات، مهما تعددت وتطورت هذه الوسائط في عصرنا الحالي.

و"الأدب المقارن يهتم أولا بإثبات الصلة بين الوسط المؤثر والوسط المتأثر، ويستعان في ذلك بما أدلى به المؤلف من تصريحات من نوع ثقافته وتأثره بكاتب أو ثقافة بلد ما"[3]. وهنا من الممكن أن نجد لهذا المؤلف أو الكاتب كتباً بلغة غير لغته الأصلية، أي أنّ المؤلف نفسه قد كتب بعض مؤلفاته بلغة أجنبية، "ويكون ذلك دليل على أنه تأثر بأدب اللغة التي تعلمها وأجادها وتمكن من أن يكتب بها"[4]، ومثال على ذلك: الأدباء الجزائريين الذين هاجروا من البلاد العربية إلى فرنسا، حيث كتب بعضهم أعماله باللغة الفرنسية إلى جانب كتاباته باللغة العربية، والذين نذكر منهم: كاتب ياسين وأسيا جبار ومولود فرعون... وهذا يوضح لنا مدى تأثر هؤلاء الأدباء بلغة البلاد التي هاجروا إليها بعد أن تعلموها ثم كتبوا بها.

ونضرب مثال آخر بعلاقة أدبنا بالأدب الفارسي؛ وهو ما نجده في الكتب العربية من أثار متفرقة للغة الفرس، وأغانيهم وأشعارهم الشعبية، بخاصة فيما بين الفتح العربي لإيران وبين استقرار الدويلات السياسية في بلاد إيران أواخر القرن التاسع الميلادي، ومن ذلك ما يذكره كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ، وكذلك ما يحكيه الطبري في تاريخه[5].

---

(1) – حامد الشافعي دياب: الكتب والمكتبات في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص77.

(2) – محمد غنيمي هلال: المواقف الأدبية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، (دت)، ص05، 06 .

(3) – المرجع نفسه: ص06.

(4) – يسرى عبد الغني عبد الله: المبادلات الأدبية بين الأمم (رؤية أدبية مقارنة).
https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2008/09/23/145977.html

(5) – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص118، 119 .

وفي مجال المبادلات الأدبية تلعب كتب النقد والصحف والمجلات، دورا هاما، ودون استيعابها لا يمكن أن يكمل بحث في صلات الآداب بعضها ببعض، فالاطلاع عليها ضروري في تحديد اتجاهات العصر والوقوف على الحركة الفكرية العامة فيه.

وما ينشر في الدوريات وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنيت)، وما يشاهد في التليفزيون، والمسرح، والسينما، والفضائيات المختلفة، وما يسمع في الإذاعات المتعددة عن الآداب العالمية، وتأثرها بعضها ببعض أمر مهم لمعرفة آراء وأفكار الكتاب الأجانب، والتعريف بهم، وبأدبهم، فكل ذلك يعدّ من قبيل المبادلات الأدبية بين الشعوب، ويؤدي إلى عملية التأثير والتأثر بين آداب الأمم[1].

فلأجهزة الثقافة الحديثة آثار كبيرة في لفت أنظار الكتّاب إلى عيون المؤلفات الأجنبية وكتّابها، ولكن مهما يكن من شيء، لا تزال الكتب هي أكثر وسائل الثقافة تأثيرا، والسبيل لتلاقي الآداب، والطريق الأمثل للتأثير والتأثر فيما بينها، "ولا نعدو الحقيقة إذا اعتبرنا أنّ أول الاختراعات تتويجا للإنسانية وتحقيقا لذاتيتها هو اختراع الكتابة والكتب، فتاريخ البشرية لم يبدأ إلاّ حين ظهرت الكتابة والقراءة، فلا معرفة دون كتاب ولا تاريخ دون كتابة، لأنّ ما يسمى بذاكرة الأمم، إنّما هو قوة واهية إن لم تدونها الدواوين التي هي ذاكرة الأمم الخارجية والتي تبقى ما دامت الحياة"[2].

وإذا تتبعنا المجلات والصحف العربية القديمة مثل: مجلة الرسالة المصرية الشهيرة التي كان يشرف على تحريرها الأستاذ الأديب أحمد حسن الزيات، نجد في أعدادها المختلفة ماله صلة مباشرة بالأدب المقارن، ومقالات خاصة بالبحث في الآداب الأجنبية وصلاتها بالأدب القومي، من ذلك ما نجده في العدد الخامس والخمسون الصادر في يوليو 1934م، مقالة بعنوان "بين المعري ودانتي"، وفي العدد نفسه نجد مقالة عن الشاعر الإيطالي ليوباردي، وفي العدد السابع والخمسون الصادر في أغسطس 1934م، نجد مقالة عن ملحمتي الإلياذة والأوديسا للشاعر اليوناني "هوميروس"، وفي العدد الثامن والخمسون الصادر في سبتمبر 1934م، نجد مقالة بعنوان"بين فولتير ورسو"، وفي العدد التاسع والخمسون الصادر في أكتوبر 1934م، نجد مقالة عنوانها في "الأدب الإنجليزي"[3].

ومن هذا النوع من الدراسات أدب الرحلات، وما له من تأثير في تعريف الشعوب بعضا ببعض وصلة ذلك بآدابهم، فأدب الرحلات يعتبر المعين الذي يستقي منه أهل الأمة معلوماتهم عن الأمم

---

[1] – يسرى عبد الغني عبد الله: المبادلات الأدبية بين الأمم (رؤية أدبية مقارنة).

[2] – حامد الشافعي دياب: الكتب والمكتبات في الأندلس، ص77.

[3] – يسرى عبد الغني عبد الله: المبادلات الأدبية بين الأمم (رؤية أدبية مقارنة).

الأخرى، والصورة التي يرسمها أدب الرحلات لأية أمة – صحيحة كانت تلك الصورة أم مشوهة – هي التي تنعكس في قصص الكتّاب وفي مسرحيات المؤلفين وما كتبه الرحالة من الأدباء الفرنسيين في مصر كان موضوع دراسة الأستاذ "جان ماري كاريه"، الذي بيّن في كتابه كيف صوّر هؤلاء الرحالة مصر، وكيف تنوعت صورهم لها على حسب ميولهم وثقافاتهم، كما بيّن ما كان لهم من تأثير في الإنتاج الأدبي لغيرهم من معاصريه[1].

2- الكتّاب أو المؤلفون:

للكتاب أو المؤلفين دور هام في مجال المبادلات/العلاقات الأدبية بين الأمم المختلفة، فإذا تحدثنا عن مؤلف مشهور، فيجب ألا نهمل دراسته، والتعريف به، وإلقاء الضوء الكاشف على حياته وعلى صلاته بالبلاد الأخرى، وكيف عرفها وعرّفها لبلاده، فمثلا إذا أخذنا "فولتير" وتأثره بانجلترا، فلا بدّ من دراسة حياته فيها، وصدى الثقافة الإنجليزية في مؤلفاته، ومدى ما أفاد من ذلك لنفسه، وأية قيمة أدبية نتجت عن ذلك لدى معاصريه من بني قومه. فـ"فولتير" الفرنسي الذي أقام في انجلترا قرابة عامين، ودرس اللغة الإنجليزية، وقضى وقتاً مفيداً في الحوار مع بعض النقاد الإنجليز عن وليم شكسبير، وشاهد بعض مسرحياته، واحتك بالإنجليز وعلم كثيراً من أخلاقهم وآدابهم وفنونهم. لا بد أن يؤخذ في الاعتبار ما كتبه، وما كان لتلك الكتابات من أثر في باب النقد والأدب بصورة عامة، حيث تم عن طريقه اكتشاف شكسبير في القارة الأوربية جمعاء، وذلك لمكانة "فولتير" في الكتابة والفكر، ومنزلة اللغة الفرنسية في عصره، وأهميتها كلغة للثقافة والمثقفين في أرجاء أوروبا[2].

ويدخل في هذا الباب دراسة ابن المقفع فيما نقل إلى العربية من روائع لغته، مثل : كتاب "كليلة ودمنة" و"الأدب الكبير" و"الأدب الصغير" وغيرها، بحيث ينظر إلى إنتاجه بوصفه صلة بين الأدب الإيراني وبين الأدب العربي، ومن هنا يجب أن ندرس حياة ابن المقفع نفسها، وأن نتعرف على ثقافته الفارسية، وما يمكن أن يكون لكل ذلك من صدى في مجهوده الأدبي في الترجمة التي قام بها، فلكي نستطيع تقدير كاتب يجب أن نعرف من أدب لغته ومن حياته وأحوال بلاده ما يمكننا من صدق الحكم عليه[3].

---

[1] – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص128.

[2] – يسرى عبد الغني عبد الله: المبادلات الأدبية بين الأمم (رؤية أدبية مقارنة).

[3] – محمد غنيمي هلال: المواقف الأدبية، ص07.

3- الترجمة:

تعدّ الترجمة من أهم العوامل التي تساهم في نهضة الأمم، ووسيلة حية في الاتصال بين الشعوب وتفاعلها ثقافيا، وأداة فعالة في تقارب الآداب بعضها ببعض، وهي بذلك العصب الأساسي للاتصال بين الشعوب وللمبادلات الأدبية، وعليه فـ"لدراسة الترجمة أهمية خاصة لدى الباحثين في الأدب المقارن، إذ هي أساس معرفة ما لاقى الكتاب والشعراء من حظوة لدى الشعوب التي ترجمت لها كتبهم، وبها يعرف مدى تأثر الكتّاب الآخرين بهم في تلك الشعوب. وقد بلغ من شهرة بعض الكتّاب أن لاقوا نجاحا في غير لغتهم أكثر مما لاقوا لدى أبناء أدبهم من معاصريهم"[1].

ونعطي هنا مثالا بما لقيه كل من الكاتبين الفرنسيين "ديددرو" في كتابه "ابن أخي رامو" الذي ظهر في ألمانيا، بعد ترجمة "جوته" له، وكذا "روسو" في قصته المسماة "هلويز الجديدة" التي ظهرت لها طبعتان في هولاندا وإنجلترا، دليل على نجاحهما خارج فرنسا، ومدى تأثيرهما في الألمان والإنجليز. كذلك شكسبير الذي لم يلق نجاحا لدى معاصريه من الأوروبيين، إلاّ بعد أن تم اكتشافه من قبل "فولتيير" الفرنسي، في القرن الثامن عشر، الذي قدّمه للقارئ الفرنسي والأوروبي والعالمي من بعده، كذلك لعبت الترجمة من العربية إلى الفارسية الحديثة دورا كبيرا في تطور النثر الفارسي، فكانت ترجمة "تاريخ الطبري" عل يد الوزير الساماني(أب علي محمد بن محمد البلعمي) أقدم ما وصل إلينا من نثر تلك اللغة، وكانت مثالا يحتذى في سهولتها وسلاسة أسلوبها. وبدأ النثر الفارسي بترجمة "كليلة ودمنة" من العربية إلى الفارسية الحديثة؛ ترجمه إليها أبو المعالي نصر الله بن محمد[2].

وتعتبر الترجمات أكبر وأهم مؤشر لعالمية العمل الأدبي، وليس من قبيل المبالغة أن نقول: إنّ المترجمين هم صنّاع الأدب العالمي. فالترجمة الأدبية إلى اللغات الأجنبية عموما، وإلى لغة أجنبية عالمية بشكل خاص، تضمن للعمل الأدبي أكبر قدر ممكن من الانتشار والتلقي العالميين.

وعندما نتكلم مثلا عن انتقال الأدب العربي خارج حدوده القومية واستقباله في الأقطار الأخرى خاصة الأوروبية والغربية، فإنّه يسلك طريقين لذلك الانتقال والاستقبال[3]:

- ✓ استقباله بطريقة مباشرة في لغته الأصلية، غير أنّه غير ميسّر إلاّ لفئة محدودة جدا من الأجانب الغربيين، وهي فئة تدرس الأدب العربي وتتخصص فيه.

---

(1) – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص125.

(2) – المرجع نفسه: ص125، 126.

(3) – حفناوي بعلي:الترجمة الثقافية المقارنة جسور التواصل ومعابر التفاعل، دار اليازداوي العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2018، ص141- 143 .

✓ استقباله عن طريق وسيط الترجمة.

استقبال العمل الأدبي خارج حدوده اللغوية والثقافية الأصلية، هو حديث عن دور الترجمة كوسيط في اجتياز ذلك العمل الأدبي لتلك الحدود القومية، إلى جانب التقديم النقدي الذي يرشد أولئك المتلقين إلى فهم العمل الأدبي الأجنبي. لذا يمكن القول: إنّ المترجمين والنقاد هم صنّاع استقبال الآداب الأجنبية، وتلك مقولة تنطبق على استقبال الآداب الأجنبية في العالم العربي، وعلى استقبال الأدب العربي في الخارج على حدّ سواء[1].

وفي عالمنا العربي هناك كثير ممن بذلوا جهدا كبيرا في هذا السبيل، "فأدوا بذلك جهدا محمودا، غايته وصل لغتنا وثقافتنا بالآداب والثقافات العالمية. وقد أثر هؤلاء بتعليقهم على ما ترجموا، وبشخصياتهم ومكانتهم في الترويج للآثار القيمة العالمية، فكانوا في ذلك كله بمثابة الوسطاء لعالمية الثقافة لدينا، وأسهموا بذلك في اغناء أدبهم فيما يعوزه من كمال ونضج"[2].

وفي هذا المضمار تجدر الإشارة إلى الاختلاف بين الأصل والترجمة، لأنّ هذا الاختلاف يكشف عن اختلاف في التقاليد الاجتماعية بين الشعوب.

4- المترجمون والوسطاء في الأدب:

إذا كان المترجم ذا مكانة أدبية تستوجب دراسته، وجب أن نقوم بتلك الدراسة لنبيّن تأثيره هو بالإضافة إلى تأثير ما ترجم. فيجب مثلا دراسة أبا المعالي نصر الله وعصره، لأنّ ترجمته الفارسية لكليلة ودمنة تختلف كثيرا على الأصل العربي لابن المقفع، وكان لهذا الاختلاف تأثير كبير في الأدب الفارسي الحديث. ولم يأت هذا التأثير من الأصل العربي مباشرة، ولكنه صدر عن ثقافة واسعة للمترجم استطاع بها أن يستهوي قومه بأسلوبه في الترجمة، وأن يحملهم على محاكاته؛ وإن كانت ثقافته هي الأخرى ذات طابع عربي واضح [3].

ونذكر في الوطن العربي جبرا إبراهيم جبرا الذي "كان علما من أعلام الفكر المبدعة التي ساهمت في تزاوج الحضارات العربية والأجنبية من خلال جهده العظيم في النقل الإبداعي للتراجم من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية، حيث كان جبرا أديبا ومترجما وشاعرا"[4].

---

[1] – عبده عبود: هجرة النصوص دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي، ص33، 34.

[2] – محمد غنيمي هلال: دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر، ص40.

[3] – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص129، 130.

[4] – إبراهيم شجاع سلطان: الأدب المقارن ودور الترجمة فيه، ص77.

وإلى جانب المترجمين يلعب الوسطاء في الأدب دورا هاما في تعريف قومه بالأدب الذي يدعو إليه، وهنا لا بدّ أن يكون الوسيط ذا ثقافة واسعة وأسلوب قوي، ليترك أثرا في قومه، ولقد بيّن "فردينان بلدنسبرجيه" في كتابه "الحركة الفكرية في الهجرات الفرنسية" كيف غذى المهاجرون من الكتّاب الفرنسيين الفكر والأدب في فرنسا، فقد أدى اكتشاف المسرحية الألمانية إلى زلزلة العقلية الكلاسيكية التي كانت سائدة في فرنسا قبل الهجرة، وخير من يمثل الوسطاء الكاتبان الفرنسيان: "فولتيير" مكتشف "شكسبير" و"مدام دي ستال" التي عرّفت الفرنسيين بالأدب الألماني في كتابها عن ألمانيا عام 1814، حيث نشرت كثيرا من الأفكار الجديدة على قومها، وكان مصدرها فيها الأدب الألماني، وكان لهذه الأفكار تأثير في نشأة المذهب الرومانتيكي في الأدب الفرنسي كله. كما كانت ترى أنّ في المسرحيات الألمانية لقاحا جديدا كفيل بأن ينفث في المسرح الفرنسي روحا جديدة[1].

4- النوادي/الصالونات الأدبية:

تلعب الصالونات الأدبية دورا مهما في إشاعة الثقافة العالمية، فهي تجمع أناس من مواطن شتى، ويتدارس روادها أحدث ما صدر من كتب، وعرفت فرنسا الصالونات في القرن السابع عشر، وازدهرت وكثرت في القرن التالي له، واكتسبت طابعا عالميا بمن كانوا يترددون عليها. فقد كانت تجمع ألوانا من المتع الحسية والفكرية، من أدب ونقد وفكر وثقافة، وموسيقى وقص، وبذلك أصبحت سوقا لتبادل الآراء، ولبعض هذه الصالونات دورا بالغ الأهمية في إلقاء الأضواء الكاشفة على الآداب الأجنبية، الأمر الذي دفع الأدباء الوطنيين المغمورين إلى عالم الشهرة والخلود.

يعدّ صالون "أوتيل دي رامبوييه" لـ"كاترين دي فيفون" (1588- 1665)، أقدم صالون عرفته فرنسا وأوروبا بأجمعها. ففي هذا الصالون كانت تلتقي صفوة الكتّاب والمثقفون، الذين كانوا يناقشون التيارات الأدبية الحديثة التي تفجرت حول فرنسا في اسبانيا أولا ، ثمّ في إيطاليا فيما بعد، فكان هذا النادي الأدبي وسيلة لنفوذ الآداب الإيطالية والأسبانية إلى فرنسا في العصر الكلاسيكي، كان الكاتب المسرحي كورناي (1606- 1664) من رواد هذا الصالون، كما أصبح الروائي الفرنسي "بلزاك" فيما بعد من رواده أيضا، ولم تتوقف عادة الصالون الأدبي في فرنسا بل انتقلت من باريس إلى بقية عواصم الأقاليم.

وإلى جانب هذا الصالون الأدبي، هناك صالون "مادام دي ستال" الذي لعب دورا هاما في الحياة الأدبية في باريس، فقد كانت صاحبته أديبة كبيرة وناقدة عظيمة، هيأت المناخ لتطوّر عظيم في النقد

---

[1] – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص129- 133.

والأدب، وفتحت أبواب صالونها الذي كان في "كوبيه" لكثير من الأدباء المشهورين الذين ينتسبون إلى أمم مختلفة، ومن خلاله أطلّ المفكرون على آداب الأمم الأخرى.

واشتهر خارج فرنسا صالون الدوقة "مازرين" في لندن في القرن السابع عشر، وقام بنفس الدور الذي قامت به الصالونات الفرنسية، ومثله صالون "ليدي هولاند" في القرن الذي تلاه، وفي عام 1750 أنشأت مدام "نوردان فليشت" أول صالون أدبي في أستوكهولم عاصمة السويد[1].

وبهذا كانت هذه الصالونات الأدبية سبباً مهماً لانتقال الآداب من لغة إلى أخرى، ومن مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد آخر، الأمر الذي كان له الدور الواضح في عملية التأثير والتأثر في الآداب والفنون المختلفة، ومن ثمّ فتحت الأبواب أمام الآداب لتتميّز عالميا.

وفي المنطقة العربية الإسلامية "كان بعض العلماء والأدباء يلتقون في مجالس أو صالونات أدبية (بلغة عصرنا الحديث) ، ويثيرون بعض القضايا الأدبية والعلمية والفكرية عند العرب والفرس والروم والهنود... وكثيراً ما دفعت هذه اللقاءات الأدبية التي كانت تعقد في بيت أحد الأدباء أو العلماء، أو في قصر الحاكم أو أحد الأمراء، إلى ترجمة بعض الكتب أو المؤلفات من لغة إلى أخرى، وذلك كترجمة أو تعريب ابن المقفع لحكايات كليلة ودمنة، وذلك من الفارسية إلى العربية، وبعد ذلك تم ترجمتها مرة أخرى من العربية إلى الفارسية"[2].

ثانيا– العوامل العامة:

1– الهجرات:

هناك أسباب كثيرة تدفع الناس إلى ترك أوطانهم، أو الهجرة منها إلى بلاد أخرى، وفي عصرنا الحديث تعدّ الاضطرابات السياسية أبرز هذه الأسباب، إلى جانب ذلك الرغبة في طلب العلم والمعرفة والتعلم، وقد يصبح للمهاجرين أثرهم الكبير في نقل آداب وطنهم الأصلي إلى البلاد التي هاجروا إليها وأقاموا فيها، ومثال على ذلك انتقال الإيرانيين في الجاهلية إلى قلب الجزيرة العربية، وقد نجم عن ذلك تأثير اللغة الفارسية في اللغة العربية، وبدا ذلك الأثر في الألفاظ والمفردات، وكذلك الجاليات الإيرانية ذات الأثر الفكري والأدبي في البصرة بعد الإسلام ، ولاسيما في عهد العباسيين[3].

---

[1] – الطاهر أحمد مكي: في الأدب المقارن دراسات نظرية وتطبيقية، ص89– 94.

[2] – يسرى عبد الغني عبد الله: المبادلات الأدبية بين الأمم (رؤية أدبية مقارنة).

[3] – محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص115.

2- الحروب والغزو:

تعدّ كل من الحروب والغزو من العوامل التي تساعد على انتقال الآداب وهجرتها من موطنها الأصلي إلى مكان آخر، ومنها ما كان مألوفا في العصور القديمة، وعادة ما يأتي الغزو "نتيجة للحروب، وقد يمهد للهجرات وييسر سبيلها؛ ولكنه مع ذلك عامل مستقل أقوى أثرا وأعظم خطرا"[1]. فقد تقوم بين الأمم علاقات وارتباطات يدعمها السلم في أغلب الأحيان، وقد تنشأ ظروف تؤدي إلى قيام المشاحنات والحروب بين أمة وأخرى، وقد تؤدي الحرب أحياناً إلى غزو شعب لشعب آخر، واحتلال أراضيه، ويحاول الشعب الغالب أن يفرض لغته وثقافته على المغلوبين، ويؤدي هذا بالطبع إلى حدوث عملية التأثير والتأثر بين اللغات والآداب، وتعدّ الحروب الصليبية ذات أثر كبير في نقل حضارة المسلمين إلى أوربا، وتأثرها بفكر العرب وآدابهم[2].

فقد نقلت في مضمار الأدب آثار عربية كثيرة إلى أوربا، فبعد أن كان الشعر الكلاسيكي الأوربي لا يعرف القافية تأثر بالشعر العربي، وأضحى يجري على منواله في استعمال القوافي. كما أثر الشعر العاطفي، وقصص الحب العربية في شعر التروبادور عن طريق بعض شعراء فرنسا. وهناك جوانب متعددة من التأثير تتضح لمن يقرأ بالتفصيل عن أثر الأدب العربي في الأدب الأوربي، عن طريق فتح العرب للأندلس، ووصول العرب إلى جزيرة صقليه الإيطالية، وعن طريق الحروب الصليبية، وغيرها من المعبر التي وصل بها الأدب العربي إلى البلاد الأوربية[3].

ومن هنا لا يخفى على الدارس في مجال الأدب المقارن، أثر الحروب والغزو والهجرات كعوامل هامة في انتقال الآداب، وحدوث عملية التأثر والتأثير بين الآداب المختلفة. غير أنّه في عصرنا الحالي، وبفضل أجهزة الثقافة الحديثة، أصبح هناك نوعا من التنافس الفني والأدبي يشبه التنافس العلمي، بل إنّ الروائع الأدبية التي بقيت حتى وقت طويل ملكا لشعب واحد أصبحت الآن متوفرة للعالم، وهذا ما يجعل من دراسة الكتب والمؤلفين، وشأنهم ومكانتهم، وكذلك الترجمة بأنواعها المختلفة المباشرة وغير المباشرة، والرحلات التي قام بها الأدباء، والبعثات والهجرات... إلى آخر وسائل التبادل الأدبي بين الشعوب، ذات أهمية كبيرة في مجال المبادلات الأدبية، لأنّها جميعا تعمل على نقل التأثيرات والتأثرات بين الباعث والمستقبل، وبذلك نطور الآداب من خلال الاتصال بآداب الآخرين.

---

[1] –المرجع السابق: ص116.

[2] – يسرى عبد الغني عبد الله: المبادلات الأدبية بين الأمم (رؤية أدبية مقارنة).

[3] – المرجع نفسه.